

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤَلُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : الْأَمْنُ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيْرَ سَبِيْرًا لِيَأْتِيَهَا وَيَأْتِيَ الْأَمْنِيْنَ) قَالَ الْعَلَمَاءُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللَّهُ : مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ : أَنَّ الْأَمْنَ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ لِقَوْلِهِ : (لِيَأْتِيَهَا وَيَأْتِيَ الْأَمْنِيْنَ)

ولأهمية الأمان في حياة العباد والبلاد ، فَقَدْ دَعَا خَلِيْلُ اللَّهِ : إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِمَكَّةَ بِأَنْ تَكُونَ بِلَدًا آمِنًا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بِلَدًا آمِنًا) وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ، فَأَصْبَحَتْ مَكَّةُ مَكَانًا آمِنًا ، تُجَبِّي لَهَا تَمْرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : (أَوْلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ تَمْرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا) وَلَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى قُرَيْشٍ بِهَذِهِ النُّعْمَةِ الْعَظِيْمَةِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : فَأَلَامَنَ نِعْمَةً عَظِيْمَةً ، وَمَنْ رَأَى الْبِلَادَ الَّتِي سَلِبَ مِنْهَا الْأَمْنُ ، وَجَلَّ بَدَلًا عَنْهُ الْخَوْفُ ، عَرَفَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي جَعْلِ بَلَدِهِ آمِنًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) قَالَ الْعَلَمَاءُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " ائْتَنَّا عَلَيْهِمْ بِحَرَمَةِ الْأَمْنِ ، وَأَنَّهُمْ فِي أَمْنٍ ، وَسَعَةِ رِزْقٍ ، وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ " . "يَتَخَطَّفُونَ ، وَيَخَافُونَ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : وَالْإِيْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ أَسْبَابِ اسْتِمْرَارِ الْأَمْنِ قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) قَالَ الْعَلَمَاءُ الْعَثِيْمِيْنَ : مِنْ فَوَائِدِ الْآيَةِ الْكَرِيْمَةِ : أَنَّ الْإِيْمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ ، سَبَبٌ لِاسْتِمْرَارِ الْأَمْنِ وَلِزَوَالِ الْخَوْفِ ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْنٌ سَابِقٌ فَهُوَ يَسْتَمِرُّ وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ خَوْفٌ فَإِنَّهُ يَزُولُ ، لِقَوْلِهِ : (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) قَالَ الْعَلَمَاءُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " الْأَمْنُ مِنَ الْمَخَافَةِ . " فَإِنْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ مُطْلَقًا ، لَا يَتَسَرَّكَ ، وَلَا بِمَعَاصِي ، حَصَلَ لَهُمُ الْأَمْنُ النَّامِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : وَمَنْ أَهَمَّ الْأَسْبَابَ لِزَوَالِ الْأَمْنِ

أولاً : مَعْصِيَةُ اللَّهِ ، فَأَلَامَنَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ مَعَاصِي اللَّهِ ، قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : (أَنْتَرِكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعَاهَا هَضِيْبٌ) قَالَ الْعَلَمَاءُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْإِسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ : (أَنْتَرِكُونَ) لِلتَّحْذِيْرِ ، يَعْنِي : أَنْتَطَوُّنَ * أَنْ تَنْتَرِكُوا ؟ لَا ، فَلَنْ تَنْتَرِكُوا ، فَهُوَ لِلنَّفْيِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّحْذِيْرِ .

ثانياً / وَعَدَمَ شُكْرِ النِّعَمِ يُذْهِبُ الْأَمْنَ ، وَيَجْلِبُ الْخَوْفَ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) قَالَ الْعَلَمَاءُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وَهَذِهِ الْقَرْيَةُ هِيَ : مَكَّةُ الْمُشْرِفَةُ ، الَّتِي كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ، كَانَتْ بِلَدَةً لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا شَجَرٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسِّرُ لَهَا الرِّزْقَ ، يَأْتِيهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَجَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ ، يَعْرِفُونَ أَمَانَتَهُ وَصِدْقَهُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اكْتِمَالِ الْأُمُورِ ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ ، فَكَذَّبُوهُ ، وَكَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَدَاقَهُمُ اللَّهُ ضِدًّا مَا كَانُوا فِيهِ ، وَأَلْبَسَهُمْ لِبَاسَ الْجُوعِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الرِّغَدِ

، وَالْخَوْفَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْأَمْنِ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ صَنِيعِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وَعَدَمِ شُكْرِهِمْ ، (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : وَإِذَا فَقَدَ النَّاسُ الْأَمْنَ عَاشُوا فِي قَلْبٍ وَخَوْفٍ ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ [699هـ] : أَشْهَرُ أَنْ التَّنَزُّ بِرِيدُونَ دُخُولَ دِمَشْقَ فَاذْعَجَ النَّاسَ لِذَلِكَ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا ، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْهَا وَالْهَرَبَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَأَيُّنَ الْفِرَارِ؟ وَلَا تَحِينَ مَنَاصِرَ! ، وَلَزِمَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَكَانَتِ الطَّرِيقَاتُ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَالْجَامِعُ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا الْبَيْسِرُ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَتَكَمَّلُ فِيهِ الصَّفُّ الْأَوَّلُ وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا بِجَهْدٍ جَهِيدٍ ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي ضَرُورَةٍ يَعودُ سَرِيعًا ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَعودُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَهْلُ الْبَلَدِ قَدْ آذَقَهُمُ اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ . . . أَمَا بَعْدُ :

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ : إِنَّ فَقْدَ بَعْضِ الْبِلَادِ لِلْأَمْنِ ، وَوُقُوعَهَا تَحْتَ مِظَلَّةِ الْخَوْفِ لَهُوَ عِبْرَةٌ لِعَیْرِهَا ، أَنْ تَحْذَرَ أَنْ يَقَعَ بِهَا مَا وَقَعَ لِعَیْرِهَا ، فَسُنَّنِ اللَّهُ لَا تُنْبَدَلُ وَلَا تُتَعَيَّرُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : "سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَلَا تُعَيَّرُ ، إِنَّ كُلَّ مَنْ سَارَ فِي الظُّلْمِ وَالْعِنَادِ وَالِإِسْتِكْبَارِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ تَحِلَّ بِهِ نِقْمَتُهُ وَتُسَلَبَ عَنْهُ نِعْمَتُهُ

فِيَأْسُ اللَّهِ قَدْ يَأْتِي فَجَاءَهُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (أَقَامِنَ أَهْلَ الْفُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَمِنَ أَهْلَ الْفُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَقَامِنَا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)

. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ